CC BY

قصيدة الومضة

مقاربة في ديوان (قصب يسعى أن يكون نايا)

ديوالي حاجي جاسم *

تأريخ التقديم: 2022/9/28 تأريخ القبول: 2022/11/14

المستخلص:

تُعدُّ قصيدة الومضة من الأَنماط الحديثة التي ظهرت في القصيدة المعاصرة، وشغلت حيِّزًا متميزًا فيها بكثافتها واختزالها وخصوصيتها، ويُعدُّ خالد سليفاني من الشعراء الكورد القلائل الذين كتبوها ولاسيَّما أَنَّه كتبها باللغة العربية، وتحاول هذه القراءة الوقوف عند ديوان (قصب يسعى أَن يكون نايا) كاشفة عن جماليات اشتغال الومضة فيها.

إنَّ هذه الدراسة تسعى في بدايتها إِلى التنظير لقصيدة الومضة مفهوما وخصائص، ومن ثم الكشف الجمالي عن قصيدة الومضة في نصوص السليفاني في ثلاثة محاور، أَوَّلًا: الذاتي، ثانيًا: الاجتماعي، ثالثًا: السياسي، مستفيدة في قراءتها الجمالية من معطيات المناهج النقدية المختلفة من دون أَن تلزم نفسها بمنهج معين؛ إِذ إِنَّها تسعى لقراءة جمالية تنطلق من النص وتعود اليه هادفة إِلى تبيين جمالية الومضة وخصوصيتها في ادهاش المتلقي وجره إِلى لعبة التخييل.

الكلمات المفتاحية: جمالية، نصوص، خيال.

مدخل

عندما تكون القصيدة حبة رمل تختزل الصحراء لابدَّ لهذه الحبة أَن تأخذ توهجها وعمقها الأَكمل، فبين اختزال العالم واتساعه مساحة للتوهم، فلم تعد القصيدة تحمل ترهلها واتساعها بقدر ما تسعى لاختزال معطياتها وتكثيف انحناءاتها بحثًا عن التأمل والامتداد.

* مدرس/كلية التربية الأَساسيَّة/جامعة دهوك.

فبتحفيز من ثقافة الغرب وحداثته تطلع الأدباء إلى نماذج إبداعية تستجيب للظروف الراهنة الطارئة ولاسيَّما الذاتي منها.. فكان الشعر الحداثي يجسد هذا الواقع المتغير ويرسم أبعاده وأعماقه ويقرأ بعمق تحولاته ومستجداته.. فضلًا عن كونه انقلابًا في البنى الشكلية الذي يعد من أبرز إفرازات ومفاهيم الحداثة.. وهو إبداع وخروج به على ما سلف[1]. وكما يذهب الغذامي (ليس كل خروج عن القاعدة يُعدُّ جعلًا بها .. بل باحث لما يراه أفضل .. وأقرب إلى مراد فطرته) [2].

لقد حمل الشعر الحديث ونقده تداخلًا اصطلاحيًا بين مصطلحات التوقيعة، الومضة، الشذرة، ولذلك فإنَّ وضع تعريف دقيق لقصيدة الومضة أمر غير هيِّن في ظل الاختلاف في حجمها وضوابطها وانشغالاتها واشتغالاتها، لأنَّه نمط إبداعي حديث لم يجنس، ويعرف د.محمود جابر عباس قصيدة الومضة أو التوقيعة بأنَّها ((نموذج شعري جديد له تشكيله وصوره ولغته وايقاعه وتنبع خصوصية هذا الأنموذج الشعري بما يكتنزه من ملفوظات قليلة ذات دلالات كثيرة وإيحاءات تتخلق من ذاتها وعلى ذاتها في حركة بؤرية مكثفة ومتوترة ونامية مع كل قراءة جديدة ومتجددة في كل دال ومدلول يتحركان ضمن دائرة العلاقات المرمزة والمفاتيح المتعددة التي تمكننا من ولوج النص))[3].

إنَّ من أبرز العوامل التي تعطي لقصيدة الومضة انتماءها لهذا النوع أن تكون مكتملة المعنى مبتكرة في فضاءات لغتها تمتلك التوهج وتبني تقاناتها على تظافر الإفادة من تداخل الفنون، فهي تسعى جاهدة إلى طرح موضوع بكثافة عالية واقتصاد

(1)- ينظر، الابهام في شعر الحداثة، د. عبدالرحمن محمد القعود، سلسلة عالم المعرفة(279)، مطابع السياسة/الكويت، 122هـ ـــــ 2002م، 121-123-126

(2)- الموقف من الحداثة، د. عبدالله محمد الغذامي، الرياض، ط 2، 1412هـ ـــــ1991، 23

(3)- قصيدة الومضة،د.محمود جابر عباس ـ مقال ـ جريدة الفينيق ـ عمان ـ العدد 59 2000/9/1

لغوي ينأى بنفسه عن الحشو والترهل والمحسنات[1]، ولعل أبرز ما يعطي لقصيدة الومضة خصائصها الشعرية ويمنحها موقعها الخاص في خارطة الإبداع يتمثل بـ:

1- ((لا تقوم .. الومضة على شعرية الجملة الواحدة بل على شعرية الرؤيا ... فيرتقي الشاعر باللغة ... ويتمكن المتلقي من القبض على جوهر النص))[2] ذلك أنَّ شعرية قصيدة الومضة قائمة على انفتاح الرؤيا لا على حجمها الشكلي السنتمتري وعدد كلماتها.

2- يهيمن البعد المفارقي على جمل نصوص القصيدة الومضية لما يمنحه لها من انفتاح دلالي قائم على بنية مغايرة للمألوف خارجة عن السياق الاعتيادي.

3- تسعى قصيدة الومضة إلى ادهاش المتلقي وجره إلى لعبة التخييل والتأويل الذي يمنح النص مزيدًا من العمق والتجذر والخلود.

4- الغرائبية والتغريب: تتسم قصيدة الومضة بسعيها إلى إثارة الفضول وتغريب خيال المتلقي بإثارة صور غرائبية تشحن الجملة بطاقة تعبيرية هائلة.

5- القصر الشديد واختزال عدد الكلمات إلى اقصى ما يمكن والابتعاد عن الخوض في التفصيلات واكتفاء الشاعر بتحفير خيال المتلقي بجمل قصيرة مكثفة.

ستحاول مقاربتنا هذه الوقوف عند نصوص ((قصب يسعى أن يكون نايًا)) لخالد علي سليفاني[3]، وسنسعى إلى تقسيم الومضات عينة الدراسة على ثلاثة محاور رئيسة انتظمت على وفقها وهي:

أولا: المحور الذاتي :

ظل الإنسان مخلصًا لذاته حريصًا على تحقيق متطلباتها ومما لاشك فيه أنَّ نظرة الإنسان إلى العالم والكون تنطلق من نظرته إلى الذات فكل ما هو كوني وعام ينطلق مما هو ذاتي؛ لأنَّ الإنسان بطبيعته يعد نفسه محور الكون، وعلاقة الذات

(1)- ينظر، ماهي قصيدة الومضة، اديب حسن محمد، الحوار المتمدن، العدد 1280 في 2005\8\8

(2)- شعرية التوقيعة في حرير الفضاء العادي: سمر الديوب www.diwanalarab.com صدر الديوان عن دار روعة بطبعته الاولى 2013

(3)- صدر الديوان بطبعته الأولى عن دار روعة في دهوك

الشاعرة بذات الشاعر ..تمثل بؤرة ولادة الوجود والعالم على سواء وحقيقة المبدع الحداثي تتجلى في تجربته..وقصيدة الومضة بتقابلها وتضادها تعبر عن الحالة النفسية المتأزمة عند الشاعر الحداثي[1]، وإذا كانت الذات ((تمثل الجزء الواعي من النفس على المستوى الشعوري ... وهي تلك المجموعة الخاصة من الأفكار والانجازات التي تكون لدينا في اي لحظة من الزمن أي أنَّها ذلك البناء المعرفي المنظم الذي ينشأ من خبراتنا بأنفسنا والوعي بها))[2] فإن الوعي بالذات يسبق الوعي بالغير ولا تشي الخبرة إلَّا به، يقول:((سآوي إلى عتمة نفسي لاقتبس لك نورا))[3]

تنبني شعرية النص على المفارقة؛ إذ ينبجس النور من العتمة، فذات الشاعر المليئة بالعتمة تمنح النور لمن حولها كما لابد من القول ان النص افاد من شعرية التناص أيضًا، ذلك أنَّ التناص يمنح النص ((ابعاده الجمالية وخصائصه الكشفية بما يحمله من غنى وخصب وانفتاح على كوى عديدة تحفز التخييل وتستنطق النص الغائب والنص هنا يتناص مع القرآن الكريم في قوله تعالى ((قَالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ))[4] فإذا كان الماء يحيل بصورة غير مباشرة إلى العتمة والرهبة والخوف فقد استثمر النص الايحاءات تلك ليوحي إلى العتمة المطبقة على ذاته التي آوى إليها فاحتواها واحتوته في آن واحد لكنه سرعان ما يخرق أفق التوقع ليفاجأنا باقتباس النور من تلك العتمة.

ويقول:((رحلوا وتركوا حقائبهم فوق رفوف ذاكرتنا))[5]

---

(1)- ينظر، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، د. عبد الواسع الحميري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع/بيروت، ط 1، 119هـ ـــــ 1999م، 5، وجماليات شعر التوقيعة في شعر الحداثة، سمر الديوب www.aladabia.net/article.955

(2)- اللامعيارية (لانومي) ومفهوم الذات والسلوك الانحرافي لدى المنحرفين وغيرهم في مدينة الرياض، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة نايف للعلوم الامنية، المملكة العربية السعودية، للطالب حسن علي عبدالله الشمخي، 2003 : 64

(3)- قصب يسعى ان يكون نايا: 14

(4)- هود: 43

(5)- قصب يسعى ان يكون نايا: 20

إنَّ النص يحاول أن يعزز شعريته باستنطاق الذات مستفيدًا من استرجاع الماضي وحث الذاكرة بوصفها مؤثرًا ذاتيًا، فالأحبة قد رحلوا، وإذا كانت الحقائب من مستلزمات الرحيل ومتطلبات الرحلة ، فإنَّ هؤلاء الراحلين آثروا أن يتركوا حقائبهم في ذاكرة أحبتهم، فالنص اعتمد طريقة الإيحاء وصنع شعريته من الإيجاز والتكثيف ليقول إن هؤلاء الأحبة محفورون في الذاكرة خالدون فيها.

ويقول:((لو لم نمر بالطفولة لخلقناها في خيالنا))[1]

فإذا كانت الطفولة تمثل عالم البراءة والفطرة والحرية والانفتاح فهي بلا شكَّ تحمل في طياتها التخيل والإبداع، فالدراسات النفسية تجمع على أَنَّ عالم الطفل ومرحلته أَشد مراحل حياة الإنسان خصبا وتحليقا في الخيال، ولذلك فإن العلاقة بين الطفولة والخيال علاقة جدلية ومتلازمة والنص يسعى إلى القول ان الخيال يوجد للطفولة من العدم إن لم تكن موجودة، ويبدو لنا ان النص يحمل تناصًا لا واعيًا مع قول نزار قباني:

الحب في الارض شيء من تخيلنا لو لم نجده عليها لاخترعناه[2]

ويقول: للغربة وسائد محشوة بالأرق[3]

تنبني شعرية النص على الجمع بين المتناقضات التي تفضي إلى خلق المفارقة، فإذا كانت الوسائد تحيل ذهنيا على النوم والهدوء والطمأنينة والراحة ، فينقلب مسارها هنا لتحيل إلى الأَرق الممض والعذاب الدائم، فالوسائد ارتبطت بالأَرق والتفكير والحنين وذلك كله يتعلق بالغربة، فالغربة عند هيدغر ((كل ما يدفعنا ويلقي بنا بعيدًا عن بيوتنا، بعيدا عن عالمنا، بعيدا عن كل ما هو مألوف ومعتاد وامن،

(1)- قصب يسعى ان يكون نايا: 22

(2)- الأعمال الكاملة للشاعر نزار قباني، دراسة وإعداد: مؤمن المحمدي، مكتبة هاني، بغداد- العراق، ط1، 1434هـ-2013م، 521

(3)- قصب يسعى ان يكون نايا: 27

... والإنسان هو الذي يصنع غربته حين يصنع قيودا تحاصره وتصبح حياته غريبة عنه وهو غريب عنها))[1].

من هنا فالغربة تصبح قيدًا يحد من حرية الإنسان ويمنعه من أداء ما يرغب فيه ولذلك فالغربة تتواشج مع الأَرق وتتعانق معه ويؤدي أَحدها إلى الآخر.

يقول: تشرق الكلمات بعد غروب كاتبها[2]

يقوم البناء الفني على شعرية التضاد والتألق في آن واحد:

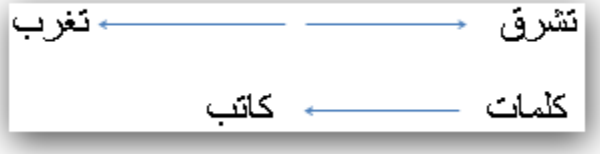

وإذا كان من المعروف في الأَدب أَن التضاد ((يعمل على كشف باطن النص الخفي عن طريق الكشف عن طرفي التعارض في الأَشياء والاحداث فهي نظرة فلسفية قبل ان تكون اسلوبا بلاغيا ندرك بها سر وجود التنافرات والتناقضات))[3].

ويقوم التناقض والتضاد بين الإشراق والغروب (اذ تتحدد العلاقة بين طرفي الثنائية الضدية بعاملين رئيسين هما الضوء والعتمة من جهة والبدء والانتهاء من جهة أُخرى)[4] فالكلمات الخالدة تظل في دائرة العتمة مختبئة لاتستطيع أَن تصل إلى الضوء والإشراق والتجلي إلَّا بعد غياب اصحابها فبموتهم تولد الكلمات وتنطلق نحو عالمها الأَرحب.

ويقول: ((نحن اسماء تسربت من ثقب ناي))[5]

---

(1)- ينظر، الغرابة: المفهوم وتجلياته في الادب: شاكر عبدالحميد، سلسلة عالم المعرفة العدد 384 الصادر في يناير 2012 : 29-30

(2)- قصب يسعى ان يكون نايا: 30

(3)- المفارقة في شعر عدنان الصائغ : د. قاسم البريسم ، موقع عدنان الصائغ،www.adnanalsayegh.com

(4)- ينظر، جدلية الخفاء والتجلي: كمال ابو ديب، دار العلم للملايين ، بيروت 1979 : 197

(5)- قصب يسعى أن يكون نايا، 52

يتناص النص مع عنوان المجموعة ((قصب يسعى ان يكون نايا)) واذا كان العنوان يسعى بطبيعته للاقتصاد اللغوي ويشكل لحظة إغواء للمتلقي للولوج إلى عالم النص ، ذلك ان العنوان ((بنية صغرى لا تعمل باستقلال تام عن البنية الكبرى التي تحتها فالعنوان بهذه الكينونة بنية افتقار يغتني بما يتصل به... ويؤلف معه وحدة سردية على المستوى الدلالي))[1] فهو يختار لمجموعته (قصب يسعى أن يكون نايا) عنوانا ويبدو لنا أنه اختار لفظة القصب للتعبير عن التجمعات البشرية المتراصة مثل القصب في غاباته وأحراشه لكن هذه القصبات بتجمعها تتحول إلى نايات تغني آمال وآلام البشريَّة، فالإنسان لا قيمة له مالم يكن الفرد في خدمة المجموع والذات الأَنوية ذائبة في الأَنا الجمعية مثل القصب الأَجوف الذي لا يسعد البشرية بعزفه ويشجيها بأنينه إلَّا عندما يصبح نايا يغني أَحزانها ويتغنى بآمالها، لذلك فالنص يرى اننا اسماء تسربت من ثقب ناي لتعزف معزوفة البشر الخالدة ولتحقق للإنسان انسانيته وتعمل على بث الخير في المجموع وأَنَّ الأَسماء الإنسانية تكتسب قيمتها وحقيقتها الإنسانية من خدمتها للآخرين وتقديمها العون للناس .

ويقول: الوصول يلغي جميع محطات الانتظار[2]:

إنَّ بنية التضاد بين الوصول والانتظار واضحة في النص، بيد أَنَّ النص يسعى للقول إنَّ الإنسان حينما يصل إلى مبتغاه يلغي جميع المحطات التي مرَّت به في رحلته المضنية تلك ويتناسى اتعابها جميعًا، ذلك أَنَّ لذة الوصول وفرحة انتهاء الغاية انسته جميع تلك المتاعب وأَبعدتها عن خاطره.

ثانيًا: المحور الاجتماعيّ:

الإنسان يتكيف في العيش مع محيطه الاجتماعي ولايمكنه الحياة بعيدًا عن مجتمعه؛ لذا يشعر بالوحدة إذا فارق إطاره الاجتماعي؛ إذ يرى جولدمان (أَنَّ الأَعمال الأَدبية لا تعبر عن الأَفراد وإنَّما تعبر عن الوعي الطبقي للفئات والمجتمعات المختلفة

(1)- ثريا النص، مدخل لدراسة العنوان القصصي: محمود عبدالوهاب، سلسلة الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد: 9

(2)- قصب يسعى أن يكون نايا، 120

بمعنى ان الاديب، وان كان فردًا، لكنه يختزل فيه ضمير الجماعة ورؤيتها التي ينتمي اليها)[1] لذلك يسعى النص هنا إلى أن يضيء جوانب معتمة من الحياة الاجتماعية ويكشف عما ما فيها من خلل؛ لأَنَّ الأَديب جزء من المجتمع يتأثر ويؤثر بها ولا يمكن للأدب ان يكون في برج عاجي بعيدًا عن هموم المجتمع؛ لأَنَّه يصبح في هذه الحالة أَدبًا نخبويًا كتب للخاصة.

إِنَّ من المؤكَّد أَنَّ الحرية (تصنع الشر في احيان كثيرة لكن الشر هو الفرصة المفضلة لكي يحصل الوعي بالحرية)[2] لذلك يمكن القول ان الأَدب لا يمكنه اعطاء صورة حية وحقيقية وصادقة عن المجتمع مالم تتوفر للأديب حرية التعبير والقدرة على رفض الظلم ونقد الاخطاء الاجتماعية والانتهاكات التي يتعرض لها الناس ؛ لأَنَّ الأَديب بدون حرية يصبح بوقًا للسلطة منفذًا لإرادتها معبرًا عن لسانها لا لسانه، وسوطها لا سوط المجتمع من هنا يمكن القول (إِنَّ مستوى الأَديب يتمثل في قدرته على صياغة رؤية للعالم تعبر عن الوعي الجماعي للمشكلات البشرية واليات حلها وشعور الأَديب بمعاناة المجتمع واحتياجاته)[3] ،فالأَدب ظاهرة اجتماعية فردية في ان واحد؛ لأَنَّ ذاتية الإِنسان جزء من بنيته الاجتماعية، فالإِنسان كما قلنا كائن اجتماعي بطبعه.

وسنحاول في هذا المبحث الوقوف عند بعض النصوص التي عالجت ظواهر اجتماعية حاول فيها النص أَن يكون صوتًا عامًا يمثل الذات الجمعية ويعبر عن انشغالاتها.

يقول: أُريد رغيفًا يجيد لغة الجياع[4]:

إِنَّ النص يعبر عن حق أَساسي من حقوق الإِنسان ضمنته الشرائع السماوية والقوانين الوضعية وهو حق الحياة الحرة الكريمة وحق الإِنسان في الحصول على

(1)- مناهج النقد المعاصر: د.صلاح فضل، دار الافاق العربية، القاهرة، د.ت:56

(2)- صراع التاويلات (دراسات هيرمينوطيقية: بول ريكور، ترجمة منذر عياشي، دار الكتاب الجديد المتحدة، القاهرة، 2005 : 493

(3)- التحليل الاجتماعي للادب: سيد ياسين، دار المعارف، القاهرة، د.ت : 82

(4)- قصب يسعى ان يكون نايا: 14

الغذاء والطعام المناسب، فقد عانت البشرية منذ فجرها من اشكالية سوء توزيع الثروات التي تركت في الذات البشرية جرحًا غائرًا حين يموت بشر من الجوع في حين تقتل التخمة الآخرين وهذا هو اساس ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، ذلك حين يتخلى الإنسان عن واجبه الاجتماعي إزاء أبناء جلدته موغلًا في النرجسية وحب الذات، فيمنح نفسه الأشياء كلها ويمنع الاخرين من أبسط حقوقهم حق الحياة فيتحول الإنسان إلى قاتل غير مباشر لأخيه.

ويقول: لا ينام البخيل جيدا، كل ظنه انه به يوفر الحياة[1]

إنَّ النص يعالج مسألة البخل حين يبخل الإنسان بكل الاشياء حتى براحته من أجل ان يحصل على مزيد من الأرباح ، فهو لا يريد أن ينام بخلًا بإضاعة أوقات من عمره بالنوم، وذلك هو انتهاء الغاية في البخل والوصول إلى مصاف النهايات التي لا تحتمل مزيدًا، فالحياة تمضي بمسراتها وماسيها والزمن في سيرورته الأبدية قاهر للإنسان شاء ام ابى وهذا النص يحمل تناصًا واضحًا مع قصيدة عمر الخيام :

فما اطال النوم عمرا ولا قصر في الاعمار طول السهر[2]

لقد انتبه الخيام إلى هذه الفكرة منذ قرون وعاد الشاعر هنا ليثيرها من جديد متحدثًا عن البخل، ويقول أيضًا: عصا الاعمى حكيمة[3]

إنَّ الشاعر هنا يتحدث عن البدائل التي يستعملها الإنسان تعويضًا عن ما يفقده فعصا الأعمى تصير في غاية الحكمة والاتقان، حين تكون للأعمى عينه التي يبصر بها ويده التي يعمل بها ورجله التي يمشي بها ودليله الذي يهديه وقد تأتت لها الحكمة حين اضحت هي الأداة الوحيدة التي لابديل عنها لتمشية أموره فهي التي تعينه وتساعده وتهيء له السبل الممكنة لاستمراره في الحياة .

---

(1) – نفسه: 24

(2)– رباعيات الخيام،غياث الدين عمر بن ابراهيم الخيام ت 1123م، ترجمة: أحمد رامي، دار الشروق، 1421هـ–2000م، 36

(3)– قصب يسعى ان يكون نايا، 38

أَمَّا الصورة غير المباشرة فهي إيحاء بأَنَّ يد القدر لا تخطىء وهي اكثر حكمة مما نخطط له؛ إذ إنَّ تخبطات الأَحداث أَحيانًا تقودنا إلى أَشياء أَفضل من كثير مما خططنا له وسعينا من أَجله .

ويقول: الصمت نص مقفل له اكثر من تفسير[1]

انه هنا يتحدث عن بلاغة الصمت وذلك حين يصبح الصمت هو اللغة الوحيدة القادرة على التعبير عن الاشياء، فالصمت لغة داخل اللغة تحتمل تعدد التأويلات (ذلك إنَّ هناك مستويين للنص تتم على وفقهما عملية متواصلة لبناء المعنى حيث تحتل العناصر التي تسهم في ذلك البناء مواقعها بالانتقال من المستوى الخلفي إلى المستوى الامامي لتحتل موقعها الجديد في بناء السياق)[2] وحتى الصمت يعبر بسياقه الخاص به عن دلالة معينة فلكل صمت دلالته التي تلائم الأَجواء التي حدث فيها وتعبر عن سياقه التأويلي، فالصمت وإن كان في ظاهره واحدا لكنه متعدد التأويلات متباين الدلالات ويعود ذلك إلى ان الصمت قد يعبر عن الخوف أَو عن الاحتقار أَو عن الرضى أَو الرفض، أَي أَنَّه يحمل دلالات متناقضة في آن واحد.

ويقول: سلالم النجاح تتسع للجميع لكن القمة ضيقة جدًا[3]:

إنَّ النص هنا يشير إلى الرغبة المتأصلة في الذات الإنسانية لاعتلاء قمم النجاح، فالبشر جميعهم يبحثون عن وسيلة للارتقاء والتقدم لكن المنافسة تشتد كلما اقترب من القمة؛ لأَنَّه هناك تتزاحم الاقدام وتزداد العثرات وتتعدد الاحتمالات فلا يستطيع الثبات في القمة إلَّا من أَعدَّ عدتها وهيأ نفسه لذلك، وبذل اقصى ما يستطيع في سبيل تلك الغاية وهذا يذكرنا بقول الشاعر العربي:

من رام وصل الشمس حاك خيوطها سببا إلى اماله وتعلقا[4]

---

(1)- قصب يسعى ان يكون نايا: 84

(2)- الأُصول المعرفية لنظرية التلقي : ناظم عودة خضر ، دار الشروق ، عمَان ، الاردن ، 1997: 154

(3)- قصب يسعى أَن يكون نايًا: 120

(4)- ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه: أحمد أمين وآخرون، الهيئة المصرية للكتاب، ط 3، 1987م، 374

وقول أَبي القاسم الشابي :

إِذا ما طمحت إِلى غاية ركبت المنى ونسيت الحذر

ومن لا يحب صعود الجبال يعش ابد الدهر بين الحفر[1]

فالحفاظ على القمة أَمر في غاية الصعوبة ويحتاج إِلى جهد جهيد للاستمرار فيه من هنا اشار النص إِلى أَنَّ الوصول ليس هو الغاية بيد أَنَّ الغاية هي المحافظة على الوصول والاطمئنان من الانحدار السريع.

ويقول: المرآة اصدق الجمادات[2]:

للوهلة الاولى يبدو النص مغرقًا في المباشرة خاليًا من الشعرية؛ إِذ إِنَّ المرآة على الرغم من جماديتها إِلَّا انها تنقل صورة الواقع المعروض أَمامها كما هو، لكننا إِذا ذهبنا مع ياكوبسون إِلى القول: (ان الحدود التي تفصل بين العمل الشعري والعمل غير الشعري متقلبة ومتغيرة أَكثر من الحدود الإِدارية لأقاليم الصين)[3] فشعرية النص هنا تقوم على التعبير الصادق والقدرة على اثارة احساس المتلقي عن طريق التعبير بالصورة والابتعاد عن المباشرة، ويمكن ان نستنتج من النص ان الأَدب ما هو إِلَّا صورة لمجتمعه يعبر فيها الأَديب عن هذا المجتمع وما فيه، فالأَدب يعكس بصدق صورة المجتمع؛ لأَنَّ الأَديب لا يستطيع أَن يتخلص من التأثيرات التي حوله . يقول غوتة (إِنَّ معرفتنا بعلاقة يونغ الخاصة بأمه تلقي شيئا من الضوء على صيحة فاوست الأُمهات الأُمهات)[4] ، فالإِنسان انعكاس لما حوله ومرآة لمجتمعه بما فيه من سلبيات وايجابيات لذلك جاءت شعرية النص من خلال التعبير عن صدق المرآة في

(1)- ديوان أَبي القاسم الشابي ورسائله، قدم له وشرحه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط 2، 1415هـ-1994م، 90

(2)- قصب يسعى ان يكون نايا : 128

(3)- ما الشعر: رومان ياكوبسون ، ترجمة د.بسام بركة ، مجلة العرب والفكر العالمي ، بيروت ، 1988 : 6

(4)- علم النفس التحليلي : ك. غ. يونغ ، ترجمة نهاد خياطة ، ط2 ، دار الحوار ، سورية ، 1997 : 159

نقل صورة الواقع وايصالها إلى المتلقي وكذلك الأدب هو مرآة اخرى لسلبيات وايجابيات وتحولات وتغييرات المجتمع .

ويقول: الحسد صدأ الروح[1].

إنَّ الحسد بلا شك ظاهرة نفسية ترتبط ارتباطا وثيقا بحاجات اجتماعية وبيولوجية تتعلق بالرغبة الإنسانية بالتملك والاستئثار والنرجسية والميل إلى اضطهاد الآخر وتطويعه والاحساس بان كل شيء ملك الذات المائلة إلى اخضاع المجموع ذلك ان الإنسان (يفرط في حب نفسه ويقال ان جميع المبدعين لديهم نرجسية لكن تتفاوت من مبدع إلى آخر ولولا هذه النرجسية لما ابدعوا شيئاً وبحسب فرويد فان النص عبارة عن تداعي الرغبات الكامنة)[2].

والرغبة الإنسانية عارمة في ان يحصل على كل شيء ويأخذ كل شيء لذاته، لذلك فان الحسد هو عبارة عن رغبة كامنة في الذات البشرية أَخذ ما لدى الآخرين، والاستئثار به ولذلك وصف الحسد بأَنَّه صدا يصيب الروح فيمنع توهجها وتألقها ويغطيها بطبقة من الذاتية والنرجسية التي تمنعها من حب الاخرين وتمني الخير لهم وانانية الحرص على اسعاد ذاته بمعزل عن غيره .

ويقول: الإنسان موسيقار رقيق لكنه غالبا يعزف بغلظة[3]

الموسيقى ــ بلا شك ــ لغة عالمية وهي غذاء الروح والمعبر الصادق عن المشاعر الإنسانية فضلا على انها لا تحتاج إلى ترجمان بل يفهمها الناطق بها والمتلقي من جميع اللغات من هنا شبه النص الإنسان بأَنَّه موسيقار لكنه يمنح هذا الموسيقار صفات متناقضة يمكن تمثلها بالمخطط الاتي:

(1)- قصب يسعى ان يكون نايا، 136

(2)- فضاءات مغايرة للنص: عبدالكريم الزيباري، دار سبيريز، دهوك ، 2007 : 96

(3)- قصب يسعى ان يكون نايا: 170

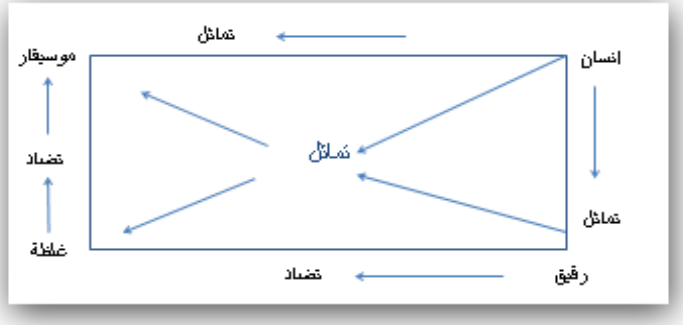

يقول رولان بارث (اذا كنت تقرا هذه الجملة بلذة ... فهذه اللذة لا تتعارض مع عذابات الكاتب)[1] ، ذلك ان لذة النص تكمن في قدرته على استفزاز القارئ وتأليب افكاره وشد مشاعره باتجاه معين يجعل من هذا النص مثيرًا للمتعة قادرًا على الكشف عن المثيرات الكامنة فيه ،فالإنسان فيه جانبان متصارعان هما جانب الخير وجانب الشر ، وهما متصارعان من الازل اذا تغلب عليه الخير اتجه ليكون ملاكا واذا تغلب عليه الشر اتجه ليكون شيطانًا.

ويقول: اقوى مساحيق الغسيل لا يستطيع ان ينظف بذاءة اللسان[2]:

يشتغل النص على إشكالية شغلت الفكر البشري منذ فجر البشرية وهي إشكالية النطق، ذلك ان المنطوق اذا خرج من اللسان لم يعد ملكا للمنتج، بل أضحى ملكًا للمتلقي يتصرف به كيفما يشاء ولا يمكن رد ما نطق به ؛لأنه نص اضحى قيد التداول، فجروح السيوف والاسلحة كافة يمكن لها ان تشفى لكن الفعل السحري للكلمات يبقى ولا يمكن التخلص منه بحال من الاحوال (لقد لفت سوسير الانتباه إلى اولية الكلام الشفاهي الذي يدعم كل اشكال التواصل اللفظي كما لفت الانتباه إلى تأثير الكلمة وقيمتها الشفاهية ونفاذها إلى حقائقها بشكل جديد)[3]، الكلمة إذن ذات تأثير لايمكن ادراك خطورته إلَّا لمن عانى من آثار تلك الكلمة ولذلك قال الشاعر العربي:

---

(1)- لذة النص: رولان بارث ، ترجمة منذر عياش ، مركز الانماء الحضاري ، ط2 ، حلب ، 2002 : 25

(2)- قصب يسعى ان يكون نايا : 178

(3)- الكلمات والاشياء: د. حسن البنا عز الدين ، دار المناهل ، بيروت ، 1989 : 13

فلا ينطقن منك اللسان بسوءة فكلك سوءات وللناس السن[1]

وهذا يعيدنا إلى المنطلق الأوّل في تراثنا حيث ورد أنَّ شابًا قال في حضرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه(إنَّما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فمن أُعطي لسانًا لافظًا وقلبًا حافظًا فقد اعطي خير الدنيا والاخرة)[2]

من هنا نجد أنَّ هذه النصوص حاملة بالمعالجات الاجتماعية لمشكلات المجتمع واشكالياته تحاول هنا وهناك ان تقف عند التأثيرات الاجتماعية والمشكلات الفكرية وتجد حلولا لها تنطلق من التجربة الإنسانية العريضة في هذا المجتمع وتستمد طاقاتها منها و تتناص معها سلسلة العلاقات البشرية المتشابكة و المتراصة.

ثالثًا: المحور السياسي:

شغلت العلاقات السياسية الفكر الإنساني طويلا واعتنى بها الإنسان كثيرًا ذلك أنَّ الإنسان يعيش في مدار علاقات سياسية بدءًا من أبسط التجمعات البشرية وصولًا إلى القبيلة ، فالدولة ، فالشبكة الكبرى من العلاقات الدولية المعاصرة وتعرف السياسة بأنَّها((فن إدارة المجتمعات الإنسانية))[3].

وترتبط السياسة بكل نشاط إنساني مرتبط بها ومحور حولها وفي قمة هذا النشاط تأتي علاقة الحاكم بالمحكوم [4] وترتبط السلطة السياسية بالسلطة المعرفية المتمثلة بالمثقف لذلك يقول ابن خلدون((السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة سيستعين بها على أمره))[5] ذلك أنَّ السياسة الجمعية للدولة تؤثر بالفرد وتغير في

(1)- ديوان الإمام الشافعي، اعتنى به: عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، لبنان-بيروت، ط 3، 1426هـ-2005م، 114

(2)- عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة، عَلي محمد محمد الصَّلَّابي، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م، 176

(3)- موسوعة العلوم السياسية : عدة مؤلفين ، اصدار جامعة الكويت ، د.ت:102

(4)- علم السياسة: د. حسن مصعب، ط ه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1977: 18

(5)- المقدمة: ابن خلدون ، دار القلم العربي، 1978: 257

حياته؛ لأَنَّه جزء منها يعيش وقائعها وتعايش مع متطلباتها واحوالها ولا يمكن الفصل بين الأَدب والسياسة فقدشغل الأَدباء انفسهم بالسياسة وتأثروا بالأحداث السياسية التي حولهم في المجتمعات البشرية كافة ذلك أَن الأَديب جزء من المجتمع يهتز لأحداثه ويتأثر بها ولو تتبعنا الآداب العالمية لوجدنا الأَدب فيها ناقلا للأحداث سياسية بصورة مباشرة او غير مباشرة، ونحن لانريد ان نقف عند تفصيلات ذلك؛ لأَنَّها ليست من وكد البحث لكننا سنقف عند نصوص سليفاني التي عالجت موضوعا ذاتماس مع الفكر السياسي !

يقول: ((أرق الارض هي حيث أسواق الحفاة))[1]

يتناول النص ظاهرة اجتماعية موغلة في العمق وهي ظاهرة استغلال الإِنسان للإنسان، فالإِنسان بطبيعته كائن حضاري يميل إِلى التجمع والتحضر والتفاعل الاجتماعي لكنه يصطدم بعقبات في مقدمتها المشكلات المتعلقة بالسلطة وارادتها الشمولية، فالسليفاني ينتقد السلطة التي تحول بينه وبين ذاته ويتعاطف مع الفقراء والمضطهدين الذين يصنعون الحياة للآخرين لكنهم يعيشون على هامشها فالحفاة العراة الجياع هم الذين يصنعون الحياة ويديمون استمراريتها ووجودها وتميزها.

ويقول: ((الجميع ينتظركم سيقبض! اذن من سيعطى.؟))[2]

يثير النص اشكالية ثنائية الأَخذ والعطاء ، فالحياة لايمكن ان تستمر مالم يفكر الجميع بالعطاء والتضحية من أَجل الآخر أَمَّا إِذا سعى الجميع؛ لأَنَّ يأخذ ولا يعطي ، فهنا تنبجس اشكالية تعطل عجلة الحياة عن الدوران وتوقف الحضارة عن الاستمرار والتطور.

إِنَّ ثنائية العطاء _ الاخذ، ثنائية لا مناص عنها في الفكر البشري لذلك فإِنَّه إِذا سعى أَحد أَطرافها للتوقف عن دوره تهدمت بنية الحياة المتحققة عن طريق التكامل بين المجموع، ذلك هو عصب الحياة القائم على أَن يقدم أَحدنا خدمة للآخر لتستمر الحياة وتحافظ على مسيرتها.

(1)- قصب يسعى أن يكون نايا، 23

(2)- نفسه، 24

ويقول: ((الجوع عار بشري))[1]

إنَّ حق الطعام من أَبسط الحقوق التي فرضتها القوانين الدينية والوضعية ونصت عليها اللائحة العالمية لحقوق الإنسان لكننا نرى ونسمع يوميًا عن آلاف الجياع في العالم في حين يعاني اخرون من امراض التخمة، وهذه هي قمة العار البشري الذي يجعل الناس يتغاضون عن موت الاف الجياع في كل عام ، وهذا النص يلتقي مع الفكر الديني عند الاديان السماوية جميعا التي حملت الاغنياء مسؤولية جوع الفقراء؛ إذ يقول سيدنا علي (رضي الله عنه)[2] ((فما جاع فقير إلَّا بما متع به غني))، إنَّ الأَدب بوصفه صوتا اجتماعيا وسياسيا يمثل صوت المجتمع، لذلك فهو يجد ان جوع بشر ما في كل مكان ما هو إلَّا عار على المجتمع بأكمله فالتضامن والتعاون الاجتماعي هو الأَساس في بنية المجتمع البشري وهو الحل لمشكلات المجتمع.

ويقول: ((الإنسان الذي يعيش بالأقنعة ستقتله الحقيقة يوما))[3].

لعل من أَبرز سمات الإنسان حرصه على اكتشاف الحقيقة، والحقيقة شيء غامض؛ إذ إنَّ الفلسفات لاتؤمن بوجود حقيقة مطلقة بل الحقائق كلها نسبية عدا المقدسات، يقول أَحد الفلاسفة ((علينا أَن نبحث دائمًا وأَن نحاول البناء، وأَن نهدم ما بنيناهم ثم نبحث من جديد))[4].

إنَّ الحقيقة المطلقة صعبة التحقق لكن هناك حقائق تواضع عليها المجتمع بيد ان الساسة دأبوا على تزييفها امام الراي العام وسعوا جاهدين إلى ارتداء اقنعة معمدة بالزيف والخداع والكذب وحينما تسقط تلك الاقنعة يدرك الناس حقيقة اولئك الساسة الذين منحوهم ولاءهم وصدقوا بأكاذيبهم فقادوهم إلى الهاوية.

ويقول: ((من كثرة ما احترق داخلي برد خارجي))[5]

---

(1)- نفسه، 27

(2)- شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: 656هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل ابراهيم،دار احياء الكتب العربية، 240

(3)- قصب يسعى أن يكون نايا، 140

(4)- الأعمال الكاملة: بيتر بروك، ترجمة: فاروق عبدالقادر، دار الهلال، القاهرة، 2002م، 12

(5)- قصب يسعى أن يكون نايا، 176

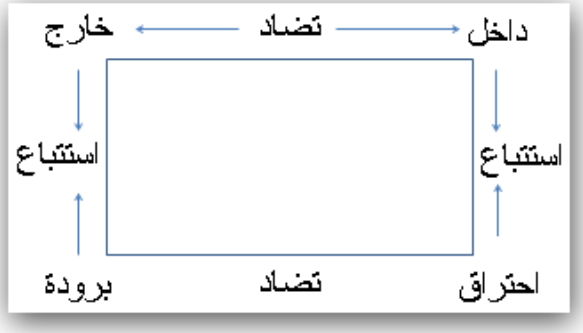

إنَّ فكرة النص قائمة على الثنائيات الضدية وهي إِحدى منطلقات المنهج البنيوي؛ إِذ تُعدُّ فكرة الثنائيات الضدية مؤثرًا مميَّزًا من مؤثرات ذلك المنهج، وإِنَّ العلامة السيميائية واضحة في النص ، فالمثل احتراق وموضوعه الداخل يؤول بالمعاناة التي يعيشها وهو في ذروة احساسه بالعقم والاضطهاد والضياع والتأرجح لتشكل نقطة ارتكاز ينطلق منها النص ليعكس همه الإِنساني وشوقه إِلى حياة افضل فالتضاد بين الداخل- الخارج ، الاحتراق- البرودة، منح النص مزيدًا من الترابط الجدلي فمن المعروف انه((كلما ازداد التضاد كبر التوتر))[1].

والنص قائم بأكمله على التوتر الاجمالي الناجم عن صراع ذاتي متأجج في داخل النفس ظهرت بوادره في انفعالات المنتج.

ويقول: ((الهدنة استراحة البنادق))[2]

تقوم شعرية النص على الاستعارة البلاغية فالهدنة أَضحت هي استراحة للبنادق لا للمقاتلين وفي النص التفاتة رائعة إِلى تحول الذات البشرية إِلى آلات مسيرة، فالسياسيون جعلوا المقاتلين آلات كالبنادق تنفذ اراداتهم دون رمي، إنَّ الأَدب بما فيه من مميزات ((يملك خاصية تشكيل فكر وشعور القارئ برغبة وارادة كاملة من القارئ، أَمَّا السياسية فإِنَّها لا تمتلك خاصية التشكيل هذه، ولكن تمتلك خاصية التركيب لما تريد وحتى رغما عن ارادة القارئ، أَو المواطن الذي يضطر للخضوع

(1)- قضايا الشعرية: رومان ياكوبسون، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، 1984م: 162

(2)- قصب يسعى أن يكون نايا، 125

بدافع البقاء ولكنه وبإعماقه يرفض ما هو قسري، فينفذ ما تريد السياسة منه ولكنه ليس حليفا لها ... لذلك كان الأَدب يشكل خطرا على السياسة لانه يؤشر مكامن الخطأ فيها))[1]، ويكشف عن عالمها المزيف القائم على اضطهاد الإنسان لأخيه الإنسان.

ويقول: ((مع صوت المدفع يفطر صائم او يفطر شهيد))[2]

إنَّ السياسة تقسر الإنسان على دفع حياته بلا ثمن نتيجة لنزق السياسيين او تهورهم ذلك أَنَّ السياسة ((لا تحدد بذاتها اي نظام معين للتعبير فهي تقطع بالأحرى اي منطق محدد للعلاقة بين التعبير والمحتوى . إنَّ مبدأ الديمقراطية ليس تمهيدا للشروط الاجتماعية بل قطيعة رمزية مع الاحداث فالسياسة تفسد الاشياء وحتى ديمقراطيتهم تتعارض مع الأَدب الحر المعبر عن الإنسانية المعذبة))[3]

إنَّ صوت المدفع يثير في الذهن في أَيَّام السلم فرحة المسلم بالأشعار بالإفطار حين ينتهي يوم الصوم الطويل وهذه الإحالة الذهنية تقود إلى شعور بالفرحة والرغبة بالحياة، في حين ان صوت المدفع ينقلب من صوت اليف محبب إلى صوت معاد يشعر بالموت واليأس المطبق، إذ يفطر الشهداء على هذا الصوت متنقلين من عالم الحياة الفانية إلى عالم الحياة الخالدة وهذا هو الفرق بين عالم الأَدب والسياسة فهما ((عالمان متناقضان مختلفان، الأَدب بشفافيته وثرائه بالمشاعر الإنسانية، والسياسة بفقرها وجفافها للمشاعر الإنسانية...الأَدب له عالم والسياسة لها عالم آخر لكنهما يتبعان لعالم الإنسان فحين تخطئ السياسة وتعامل الإنسان رقمًا تفقد انسانيتها وثقة المواطن بها وحين يخطئ الأَدب ويعتقد انه جزيرة نائية عن قارة السياسة يصبح تعابيرا وجملا لا طائل منها))[4]؛ ولذلك فان صورة الشهيد وهو يفطر بإطلاقة المدفع توحي باثر السياسة المدمر على الحياة البشرية وذلك حين يتحول الإنسان إلى مجرد

(1)- علاقة الأدب بالسياسة: سناء أبو شرار، www.alquds.co.uk

(2)- قصب يسعى أن يكون نايا، 22

(3)- سياسة الأدب: جاك رانسيفير، ترجمة سهيل أبو صخر، الهيئة السورية للكتاب، دمشق، 2010م، 231

(4)- علاقة الأدب بالسياسة: سناء أبو شرار، www.alquds.co.uk

رقم في عالم السياسة الرهيف وحين تتحول حياة الناس ومقدراتهم إلى لعبة بيد السياسيين يحركونها أنّى شاؤوا وكيفما شاؤوا.

إنَّ الانعطافات والازمات السياسية تترك اثرها في النفس البشرية وتمتد انعكاساتها لتشمل الأدب شئنا أم أبينا ذلك ان الأدب بوصفه ظاهرة اجتماعية لابد أن يتأثر بما حوله من تغيرات في البنية الاجتماعية والسياسية؛ ولذلك فإنَّ الأدباء كونهم أرق مشاعرًا واكثر إحساسًا أوَّل من يكتوون بنار السياسة ومطباتها.

نتائج البحث

1. قصيدة الومضة نوع من إفرازات الحداثة وتغيير في البنى الشكلية القديمة، معبرة عن تجربة الشاعر الذاتية وهي لم تجنس بعد.
2. يُعدُّ الشاعر خالد علي سليفاني من اوائل الشعراء الكرد الذين كتبوا قصيدة الومضة باللغة العربية ولم يكتبها بلغته الام.
3. يسعى هذا الديوان ان يكون قائما على الومضة بدءا من بنية عنوانه التي تحمل شعرية عالية وصولا إلى نصوصه.
4. تقوم شعرية النصوص ـــــ عينة الدراسة ـــــ في جلها على شعرية التضاد التي تحفز المتلقي على الحركة وتثير في الذهن نوعا من التوتر الجمالي.
5. إنَّ نصوص السليفاني حافلة بالتناصات مع الأدب والفكر العالميين ولاسيَّما مع التراث الشعري العربي.
6. توزَّعت نصوص الشاعر بين مشاغل ذاتية وأُخرى اجتماعية وسياسية بوصفها المؤثرات الأكثر تأثيرًا في الفكر البشري.
7. تحمل نصوص الشاعر نقدا لكثير من الأعراف والعادات والتقاليد الاجتماعية بروح أدبية عالية.

References

1. Abd al-Rahman Muhammad al-Qaoud (122 AH - 2002 AD) **The Basma in the Poetry of Modernity**, The World of Knowledge Series (279), Al-Seyassah Press / Kuwait, 121-123-126
2. Abdullah Muhammad Al-Ghadami (1412 AH, 1991 AD) **The position of modernity**, Riyadh, 2nd edition:23
3. Dr. Mahmoud Jaber Abbas (2000) **The Poem of the Flash**, - Article - Al-Phoeniq Newspaper - Amman - Issue 59
4. Adeeb Hassan Muhammad **What is the Poem of the Flash**, , Al-Hiwar Al-Motaddin, Issue 1280 on 8/8/2005.
5. Shaker Abdel Hamid (2012**), Strangeness: the Concept and its Manifestations in Literature** The World of Knowledge Series, Issue 384, issued in January 2012: 29-30
6. Kamal Abu Deeb (1979) **The Dialectic of Invisibility and Manifestation**:, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut: 197
7. Sayed Yassin **Social Analysis of Literature**:, Dar Al-Maarif, Cairo, Dr. T: 82
8. Nazem Odeh Khader (1997) **The Cognitive Foundations of the Reception Theory,** Dar Al-Shorouk, Amman, Jordan: 154
9. Abdul Karim Al-Zibari, (2007) **Spaces other than the Text**: Spears House, Dohuk, 96
10. Hassan Al-Banna Izz Al-Din (1989) **Words and things:** Dar Al-Manahil, Beirut: 13
11. Dr. Hassan Musab (1977) **Politics:,** Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, 18

Flashy poem Approach in

(Qasab Yaseaa 'an Yakun naya)

Diwali Haji Jassim *

Abstract

The gleam poem is one of the new patterns that have emerged in contemporary poem, and occupied a distinct space with its density, stenography and particularity. Khaled Slevani is one of the few Kurdish poets who wrote in this pattern especially in Arabic language.

This study tries to seek out the aesthetics and functionality of the gleam poem in the (canes seeking to be a flute) poem collection.

This study initially aims to theorize the gleam poem in its concept and characteristics, then aesthetically detect the gleam poem in Slevani's poems on a three-pronged approach. First: Self-approach, second: Social approach and third: Political approach. Benefiting from the different theories of criticism in its aesthetic reading without binding it-self to a particular one. Hence, it seeks a reading that comes out of the text and returns to it with the goal of indicating the beauty and particularity of the gleam poem in astonishing the reader and taking him into the game of fiction.

Keywords: aesthetics, texts, imagination.

* **Lect/ College of Basic Education/University of Duhok.**